شعراؤنا المنسيون

الأبيـــوردى

المتوفى فى مثل هذا اليوم (٢٠ ربيع الأول) سنة ٥٥٧

بمناسبة مرور « ٧٩٨ سنة » على وفاته

للأستاذ على الطنطاوى

مقدمة : بين المرى والبارودى عصر أدبى مديد قد نسى اليوم أو كاد ، فمحى من برامج التعليم عندنا ، وحكم عليه جلة واحدة بأنه عصر انحطاط فى الأدب وجفاف فى القرائح ، وضعف فى الانشاء ، وقحط فى الرجال ، وانصرف عنه الناس — إلا الخاصة من أهل الأدب — وزهدوا فيه ، وارتضوا لأنفسهم الجهل به ، وانقطعت الصلة بينهم وبينه ، فلا تقرأ لأحد بحثا فيه ، ولا تحليلا لشاعر من شعرائه . ولا تسمع اسم رجل من رجاله يتردد على ألطراف ألسنة الخطباء ، وأسلات أقلام الكتاب ، كما تردد اسم بشار والبحترى والمتنبي والمعرى ، فى حين أن هذا العصر الطويل قد أنجب شعراء إذا هم لم يضارعوا الفحولة السابقين ، فليسوا خالين من كل مزية ، ولا عاطلين من كل حلية . بل إن فيهم لشعراء فحولا ، زودوا الأدب العربى بزاد قيم ، وأورثونا أدبا جما ، وشعراً كثيرا من حقه أن يحفظ وينظم ، ويدرس ويحلل . لا سيا ونحن فى إبان نهضة أدبية شاملة ...

وقد أحببت أن أفتح هذا الباب فى « الرسالة » لأنها اليوم بمثابة الامام فى الأدب العربى ، ولأن فى يدها دفة السفينة فهى التى توجهها الوجهة الصالحة إن شاء الله . ولست أسوق هذه الكلمة على أنها دراسة كاملة لهذا الشاعر . ولكن على أنها كلمة موجزة عن نفسيته وشعره ، بمناسبة ذكرى وفاته ، على هؤلاء الشعراء المنسيين يبعثون كما بعث ابن الرومى من قبل . فيقام للابيوردى بعد سنتين مهرجان كمهرجان المتنبي بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاته ... (ع)

قال الأبيوردى :

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى أعزّ وأحداث الزمان تهون
قنات يُرينى الخطب كيف اعتداؤه وبتّ أريه الصبر كيف يكون

والأبيوردى هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى العاوىّ الأمويّ العبشمىّ الذى يقول :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت لنا رغبة أو رهبة أمراؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا شدائد أيام قليل رخاؤها
وكان الينا فى السرور ابتسامها فصار علينا فى الهموم بكاؤها
وصرنا نلاقى النائبات بأوجه رقاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

* * *

هذه نفس الأبيوردى ، وهذا شعره

قال الشعر فأكثر ، وسار فيه على سنن من تقدمه وعاصره ، فمدح وهجا وتغزل ، واستنفد المدح أكثر شعره ، وعُنى بالصناعة البديعية ، وغاص على المعانى المبتكرة ، والتوليدات الدقيقة ؛ وكان شأنه فى ذلك شأن جمهرة الشعراء المداحين لم يأت فيه بجديد ، ولم تكن له ميزة فى شىء منه ، ولكن ميزته فى شىء وراء ذلك كله ، هو أن له شخصية قوية واضحة تشبه شخصية المتنبي فى كثير من نواحيها ، وإن هذه الشخصية تظهر فى شعره كله ، فى المدح وفى الهجاء وفى الغزل

وستفهم هذه الشخصية ، وترى مبلغ ظهورها فى شعره حين تعرف نسبه وأخلاقه ، وتقرأ ما سأعرض عليك من شعره

أما نسبه فقد علمت أنه يتصل بأبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس جد الخلفاء الأمويين ، الذين ملكوا الدنيا ، وفتحوا المشرق والمغرب ؛ وقد كان الشاعر معتزاً بهذا النسب لا ينساه ولا يكتمه ، ولا يحجم عن أن يواجه به الخلفاء من بنى العباس ، وأن يفاخرهم به فى وجودهم !

كتب مرّة إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله رقعة على رأسها الخادم المعاوىّ ، فغضب الخليفة وأخذ الرقعة فكشط الميم من المعاوىّ وردّها اليه ...

وكان مرّة يمدح الخليفة المقتدى العباسى ، ففخر أمامه بنسبه الأموى ، ووازاه بنسب الخليفة ، ولم يزد على أن جعل جدّ الخليفة العباسَ « ساقى الحجيج » ندا لجده وقريناً ، قال :

وقد ولدتنى عصبة ضمّ جدّهم وجدّ بنى ساقى الحجيج عروق
وإنى لأبواب الخلائف قارع بهم ولساحات الملوك طروق

ولم يكن يمتنع من أن يفخر بأجداده الأمويين ، ويملأ الدنيا ثناء عليهم ، ويفضلهم على الناس كلهم ، على مسمع من العباسيين أرباب السلطان وأولياء الأمر ، وأن يعرض فى فخره بالدولة العباسية وزوالها ، قال :

أنا ابن الأكرمين أباً وجداً وهم خير الورى عماً وخالا
أشدّهم إذا اجتلدوا قتالا وأوثقهم إذا عقدوا حبالا

وأرجحهم لدى الغمزات عوداً إذا الخفرات خلين الحجالا

(إلى أن قال) :

وهم فتحوا البلاد بباترات كأن على أعنتها نعالا
ولولاهم لما درّت بفيء ولا أرعى بها العرب الفصالا
وقد علم القبائل أن قومي أعزّهم وأكرمهم فعالا
وأصرحهم إذا انتسبوا أصولا وأعظمهم إذا وهبوا سجالا
مضوا وأزال ملكهم الليالي وأية دولة أمنت زوالا ؟

أما أخلاقه فقد كانت أخلاق الصيد من الملوك ، لا أخلاق المداح من الشعراء ، فقد ذكروا أنه كان عالي الهمة ، عزيز النفس ، متكبراً تيّاهاً ، ذا بأو وصلف وعجب ، وكان يتخذ العبيد والغلمان ، ويأمر من يمشي بين يديه بالسيف فعل الملوك ، وكانت له آمال سياسية ، كان يرجو أن يبلغها من طريق المرتبة والولاية ، فطلبها وألح في طلبها ؛ فلما أيس منها عزى نفسه بأنه سيطلبها بالسيف ، فهو يشبه في هذا المعنى المتنبي شاعر العرب الأكبر ؛ مدلّ على آماله السياسية وطموحه إلى الملك شعره الذي سيمر بك عما قريب ، ودعاؤه عقب كل صلاة : « اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها » ، وتيهه على ممدوحيه من الملوك والوزراء ، وفخره بنفسه بين أيديهم

أما الشعر فكان ينظمه ترويحاً عن نفسه ، وترجمة عن أدبه ، ويمدح به من يمدح للأدب لا للنشب ، وللوفاء لا للعطاء :

ولم أنظم الشعر عجباً به ولم أمتدح أحداً من أرب
ولا هزّني طمع للقريـ ض ولكنه ترجمان الأدب

* * *

إني بمدحك مغرى غير ملتفت إلى ندى خضل الأنواء مطلوب

وكان يترفع عن أن يستجدي بالشعر ، وأن يعد من الشعراء السؤّال . ويرى نفسه نداً لممدوحيه . فهو ينظم لهم هذه القصائد المعجزة . يبتغي بها ودهم وإخاءهم لا نوالهم وعطاءهم :

ولولاك لم تخطر ببالي قصائد هوابط في غور طوالع من نجد
لحقت بها شأو المجيدين قبلها وهيهات أن يؤتى بأمثالها بعدي
فهن عذاري مهرها الود لا الندى

وما كل من يعزى الى الشعر يستجدي

ولم يكن يسلك سبيل شعراء المدح في الكذب والغلو والمبالغة . ولكن سبيله وصف ما يرى من صفات ممدوحيه وخلالهم وصفاً صادقاً ، لا كذب فيه ولا اغراق :

وصدق قولي فيك أفعالك التي أبت لقريضي أن أوشحه كذباً

* * *

لا زلت تلقح آمالاً وتنتجها مواهباً يعتريها كل محروب
وتودع الدهر من شعر أحبره مدائحاً لم توشح بالأكاذيب

وكان عارفاً بقيمة شعره ، مؤمناً بعلو منزلته وجلالة قدره ، فهو يوجه إليه أنظار ممدوحيه ويدل به عليهم ، ويمن على من يمدحهم بأن ملوك الأرض يتمنون أن يمدحوا به ، ولكنه لا يتنازل الى مدحهم ، ولا يعرج عليهم ، ولا يلتفت إليهم :

قليل الى الرى الذليل التفاته وان كثرت للواردين المناهل

* * *

فدونك مما ينظم الفكر شردا سلبن حمى المرجان كل نظام
تسير بشكر غائر الذكر منجد يناجي لساني معرق وشآمي

ويهوى ملوك الأرض أن يمدحوا بها
وما كل سمع يرتضيه كلامي

* * *

وكم ماجد يبني ثناء أصوغه ولكنني عن مدح غيرك أزورُ

ويودع سيداً كبيراً فلا يجد ما يأسف عليه عند وداعه الا هذا الشعر الذي يضيق به الحساد ، و (تكبو دونه الشعراء) وتنشده الأيام ، أن يضيع بعد رحيله ولا يبقى له أهل يخاطبون به

رحلت فالمجد لم ترقأ مدامعه ولم ترق علينا المزن أكبادا
وضاع شعر يضيق الحاسدون به ذرعاً وتوسمه الأيام انشادا
فلم أهب بالقوافي بعد بينكم ولا حمدت وقد جربت أجوادا

* * *

وإذا أنت سألت الشاعر عن منزلته في الشعر لما تردد في القول بأنه فاق الشعراء وبذهم ؛ فاذا عجبت منه كيف يعجز الشعراء ويبذهم وهو واحد منهم ، أجابك جوابَ المطمئن المؤمن بما يقول : المعتد بنفسه قائلاً :

فقت الأعاريب في شعر فأنت به كأنه لؤلؤ في السلك متضود
ان كان يعجزهم قولي ويجمعنا أصل فقد تلد الحمر العتاقيد

فمن كان له هذا المجد التليد ، ينم عنه هذا النطق المبين :

ينم بمجدي حين أفخر منطقي ويعرب عن عتق الذكي صهيلها

ومن كان سليل الملوك ، وشاعر العصر ، وذا المجدين : المجد

الموروث وهو هذا النسب العالي النبيل ، والمجد المكسوب وهو هذا البيان الصافي الأصيل ، كان له أن يقوم بين أيدي ممدوحيه مقام العزيز الشامخ بأنفه ، وأن يصرخ في وجه الوزير ، وقد قام مادحاً له ، فنسيه وذكر نفسه ، فانقلب منافراً مفاخراً :

وسل بي المجد تعلم أيّ ذي حسب ... في بردتيّ إذا ما حادث هجما
يلين للخل في عزّ عريكته ... محض الهوى وله العتبى إذا ظلما
من معشر لا يناجي الضيم جارهم ... نضو الهموم غضيض الطرف مهتضما
والدهر يعلم أني لا أذل له ... فكيف أفتح بالشكوى اليه فما

وكيف يشكو الدهر ، وشعره غرة في جبين الدهر :

وكيف يشكو الدهر من شعره ... على جبين الدهر مكتوب ؟

أو لست تذكر المتنبي شاعرنا الأكبر ، حين تقرأ للأبيوردي فخره بنفسه وتمدحه بادلاجه في الليل ، وانفراده في الفلوات ترنو إليه النجوم وهو ساع ليكسب قومه عزاً وفخراً في مطلع قصيدة يمدح فيها ويهنئ بالعيد . قال :

وبي عن خطة الضيم ازورار ... إذا ما جدّ للعلياء جدّي
فهل من مبلغ سروات قومي ... مصاحبتي على العزّاء غمدي
وإدلاجي وجنح الليل طاوٍ ... جناحيه على نصب وكدّ
وقد رنت النجوم اليّ خُوصاً ... بأعين كاسرات الطرف رُمد
لأورثهم مكارم صالحات ... شفعت طريفها لهم بتلدِ

وهو لا يزال أبداً يحب أن يجمع الى المجد التليد مجداً طريفاً وأن يؤيد المجد الموروث بمجد مكسوب ، لا يقنع بعلو نسبه ورفعة أجداده :

فشيدت مجداً رسا أصله ... أمت اليه بأمّ وأب

ولا يزال يمدح بهذه الخلة من يجدها فيه من ممدوحيه . قال :

مقتل السن عقيد النهى ... تقصر عن غاياته الشيب
والملك لا يجمل أعباءه ... من لم تهذبه التجاريب
شديد ما أثّل من مجده ... والمجد موهوب ومكسوب

* * *

أبو علي له في خندف شرف ... لف العلى منه موهوباً بمكسوب

وهو لا يقنع من المجد بالشعر والأدب ، ولا بالمال والنسب ، ولكن له أملاً سياسياً بعيداً ، فهو يألم لما يرى من تفرق الأمراء وغلبة الأعاجم ، وينتظر (رجل الساعة . . .) المصلح المرتقب ، الذي يجمع شمل الأمة ، ويعيد لها شبابها ، فيدعو لذلك الملوك ، ويهيب بهم ، فلا يجد هذا البطل الأروع فرّاج الغمة ، محيي الأمة :

دهر تذأب من أبنائه نقد[1] ... وأوطئت عرب أعقاب أعلاج
وأينع الهام لكن نام قاطفها ... فمن لها بزياد أو بحجاج
وكم أهبنا إليها بالملوك فلم ... تظفر بأروع للغماء فراج

فيفتش في أمراء العرب وملوكهم فلا يجد فيهم من يرجى إلا الأمير أبا الشداد ، فيقصده بقصيدة يستثيره وينتفزه ، ويهيج في نفسه الحمية العربية ، ويسأله كيف يرضى وهو اليوم أمل العرب وملجؤهم بأن يقنع العرب بصحراء زرود ورمال حاجر ، بينما يأكل الأعاجم الدنيا ، ويتناهبون الثراء والمجد ، ويحضه على أن يثيرها داحسية شعواء :

فأين أبا الشداد إن وراءنا ... أحاديث تروى بعدنا في المعاشر
أترضى وما للعرب غير ملجأ ... توسدهم رملي زرود وحاجر
فأين الجياد الجرد تخطو إلى العدى ... على عَلَق تروي به الأرض ماثر
وفتيان صدق يصدرون عن الوغى ... وأيدي المنايا داميات الأظافر
وحاجتهم إحدى اثنتين من العلى ... صدور العوالي أو فروع المنابر

فاذا يئس من أن يجد في الناس هذا الرجل ، تقدم ليحقق أمله بنفسه ، فكانت حاله كحال المتنبي ، يسمو إلى رتبة أو ولاية يتخذها سلماً الى مثله الأعلى ، فيطلبها ولا يراها بدعاً ولا عجباً ، ولا يراه خلق إلا لها . . . واسمعه يقول لمؤيد الملك :

إليك أوى يا ابن الأكارم ماجد ... له عند أحداث الزمان طوائل
تجر قوافيه إليك ذيولها ... كما ابتسمت غبّ الرهام الخمائل
وعندك ترعى حرمة المجد فارتمى ... إليك به داعي الأظلين بازل
فليل إلى الرى الذليل التفافه ... وإن كثرت للواردين المناهل
وها أنا أرجو من زمانك رتبة ... يقل المساعي عندها والمساجل
وليس ببدع أن أنال بك العلى ... فمثلك مأمول ومثلي آمل

كان هذا أمله في حله وترحاله ، وغايته من اغترابه عن بلده ، ونأيه عن أهله ، وما كان يطلب مالاً ولا ثروة ، وما كانت به حاجة

(١) قال في اللسان : النقد جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون في البحرين . ويقال هو أذل من نقد . وأنشد :
رب عديم أعز من أسد ... ورب مثر أذل من نقد

للمال ، ولا ضاقت أرضه برزقه ، ورزق عياله ، واسمعه يقول لسيد الوزراء أحمد بن الحسين :

ولم نغترب مستشرفين لثروة ... نرعى مطايانا ببرين مبقل
ولكننا نحمي ذمار معاشر ... لهم آخر في المكرمات وأول
ومن سلبته نوشة الدهر عزه ... فنحن لريب الدهر لا نتذلل

ولو هو أراد الغنى لناله ، لا سؤالاً واستجداء ، ولكن على ظبي السيوف وأطراف الرماح ، ولكنه يريد غاية بعيدة ، دونها جرع الردى وحياض الموت ، يسعى إليه بفتيان « من أمية » هم موقدو الحروب ومطفئوها :

ومن خاف أن يستصعر الفقر خده ... وفي بالغنى لي أعوجي[1] ومنصل
ومكتحلات بالظلام أثيرها ... وهن كأشباح الأهلة نحل

ولا صحب لي إلا الأسنة والظبي
بحيث عيون الشهب بالنقع تكحل

وحولي من روق أمية غلمة ... بهم تطفأ الحرب العوان وتشعل
سريت بهم والناجيات كأنها ... رماح بأيديهم من الخط ذبل
فلوا حتى الليل البهيم بأوجه ... سنا الفجر في أرجائها يتهلل
وخاضوا غمار النائبات ومالهم ... سوى الله والرمح الرديني معقل
يرومون أمراً دونه جرع الردى ... تعلّ بها نفس الكميّ وتنهل

فبتنا وقد نام الأنام عن العلى
نساري النجوم الزهر والليل أليل

وتمر الأيام وهو لا يصل إلى شيء مما يؤمل ، ويضيق بحالة الذل والمهانة ، فيلوم نفسه على قعوده ، ويعزم العزمة الفاصلة التي تكون فيها المنى والمنايا :

تقول ابنة السعدي وهي تلومني ... أمالك عن دار الهوان رحيل
فان عناء المستنيم إلى الأذى ... بحيث يذل الأكرمون طويل
وعندك محبوك السراة مطهم ... وفي الكف مطرور الشباة صقيل
فثب وثبة فيها المنايا أو المنى ... فكل محبّ للحياة ذليل

وثبة أموية ، ينال بها عزّ أجداده الأمويين ومجدهم . فليس العز إلا أن يغامر المرء ويحمل نفسه على الخطة التي تبقى ذكره في الناس أبد الدهر ، فاما أن يموت فيقال لله دره ، وإما أن يكتب له الظفر :

ألم تعلما أني على الخطب إن عرا ... صبور إذا ما عاجز هيل صبره
فلا عزّ حتى يحمل المرء نفسه ... على خطة يبقى بها الدهر ذكره
ويغشى غماراً دونها جرع الردى ... فان هو أودى قيل : لله درّه

ولا بدّ لي من وثبة أموية
بحيث العجاج الليل والسيف فجره

ولا يثنيه عن وثبته الأموية بعد المدى ، ووعورة الطريق ، وما يعتور السبيل اليها من أخطار وخطوب أهونها الموت ، لأنه ألف حمل الخطوب ، وتعود الصبر ، وأعد للنائبات عزائم تروض إباء الدهر إذا شمس الدهر ، ولم يحفل بالدنيا وهي غضة غريضة ولم يبال بها ، أفيقبل عليها وهي جافة ذابلة ، وهل تثنيه عن مرامه لذاذاتها ؟

اسمعه حين يقول :

سل الدهر عني أي خطب أمارس ... وعن ضحكي في وجهه وهو عابس
سأحمل أعباء الخطوب فطالما ... تماشت على الأين الجمال القناعس
وأنتظر العقبى وإن بعد المدى ... وأرقب ضوء الفجر والليل دامس
وإني لأقرى النائبات عزائما ... تروض إباء الدهر والدهر شامس
وأحقر دنيا تسترق لها الطلى ... مطامع لحظي دونها متشلوس
تجافيت عنها وهي خود غريرة ... فهل أيتنيها وهي شمطاء عانس
ولي مقلة وحشية لا تروقها ... نفائس تحويها نفوس خسائس

ولا يثنيه عنها رقة حاله ، ورثاثة أطماره ، فهو كالسيف القاطع البتار ، لا يضره الغمد ، وهمته كامنة في ضمير الدهر ، ولا بد للضمير المستتر أن يظهر :

رأت أميمة أطماري وناظرها ... يعوم في الدمع منهلاً بوادره
وما درت أن في أثنائها رجلاً ... ترخى على الأسد الضارى غدائره
أغر في ملتقى أوداجه صيد ... حمر مناصله بيض عشائره
إن رث بردي فليس السيف محتفلاً
بالغمد وهو وميض الغرب بأتره
وهمتي في ضمير الدهر كامنة ... وسوف يظهر ما تخفي ضمائره

وكأنك تسأل بعد هذا كله ، ألم يلق الشاعر شدة وعناء وهو يصرح بذكر الوثبة الأموية ، ويدعو اليها علناً في ظلّ الحكم العباسي ، ألم يتنكر له أولو الأمر ، ويزوروا عنه ويناوئوه العداوة ، ويبطشوا به ؟ وهل هو ذا الشاعر يخبرك بأنه لقي أذى كثيراً ، وشراً مستطيراً ، فريع من غير أن يذنب ، وجفي من غير أن يخون ؛ ولكنه اعتصم بالصبر ، ولاذ بالحزم ، ولم يلن ولم يشك ولم ينهزم :

(١) أي جواد كريم من نسل الأعوج المشهور

وقد طرقتني النائبات بحادث ... لو ان الصفا يرمى به لتصدعا
أراع ولم أذنب وأجنى ولم أخن ... وقد صدق الواشي فأخنى وأقذعا
ولست وإن عض الزمان بغاربي ... أطيل على الضراء مبكى ومجزعا
إذا ما أغام الخطب لم أتحفل به ... وضاجعت فيه الصبر حتى تقشعا

ولماذا يذل ويخضع ، وهو إن ضاقت عنه بلدة فستتسع له أخرى ، وحسب البلدة عاراً أن يرحل الشاعر عنها ، وإن أدلت عليه بابل بسحرها الحرام ، فهو يدل عليها بسحره الحلال ، ويجعل من شعره حيثما حلّ بابل ...

أبابل لا واديك بالرفد منعم ... لدينا ولا ناديك بالوفد آهل
لئن ضقت عنا فالبلاد فسيحة ... وحسبك عاراً أنني عنك راحل
وإن كنت بالسحر الحرام مدلة ... فعندي من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها ... فكل مكان خيمت فيه بابل
وأي فتى ماضي العزيمة راعه ... ملوكك لا روّى رباعك وابل

* * *

وبعدُ ... فاسمع الشاعر نفسه يصف لك شخصيته ، ويخبرك أنه يمدح ويأخذ ، ولكنه أعزّ من أن يملكه الملوك بثوابهم ونوالهم ، وأنه لا يستسيغ الذلّ ولا يحب أن يتمرغ فيه ظهراً لبطن ، ولا يألف حياة الدعة والأمن في ظلّ الروض بين الكاس والطاس ، ولا يفرق من المنايا ويخشى المهالك ، ولكنه يريد أن يثيرها حرباً عواناً في سبيل غاياته ومطامحه :

سواي يجرّ هفوته التظنى ... ويرخى عقد حبوته التمنى
ويلبس جيده أطواق نعمى ... تشف وراءها أغلال منّ
إذا ما ساءه اللؤماء ضيما ... تمرّغ في الأذى ظهراً لبطن
وظلّ نديم عاطية وروض ... وبات صريع باطية ودنّ
وأشعر قلبه فرق المنايا ... وأودع سمعه نغم المنى
وسلسلة اللجام لدى أحرى ... بعز في مباءته مبنّ
فلست لحاضن إن لم أقدها ... عوابس تحت أغلمه بكنّ
. . . . . .
وهأنا أوسع الثقلين صدرا ... ولكنّ الزمان يضيق عني

* * *

هذه شخصية الأبيوردي وهذا شعره ، أفيستحق أن يهمل وينسى ؟ ...

(دمشق) علي الطنطاوي

٢ ـ أثر الحرب الكبرى في بريطانيا

للأستاذ رمزي ميور

أستاذ التاريخ الحديث في جامعة منشستر سابقاً

ترجمة الأستاذ محمد بدران

ناظر مدرسة عباسية الابتدائية

كذلك لم يعد لبريطانيا بعد الحرب ذلك السلطان الكبير الذي كان يوليها إياه تفوقها التجاري على أمم العالم أجمع . نعم إنها لا تزال تمتلك وتسيّر ثلث سفائن العالم ، وذلك لأنها أوسع أسواق الأرض حرية ، لكن نصف سفنها معطل ؛ وقد خسرت جزءاً كبيراً من تجارتها الخارجية التي تعوّل عليها في حياتها وإن كانت صادراتها (منسوبة الى عدد السكان) لا تزال ضمن صادرات أكبر الأمم المنافسة لها تقريباً . على أن ما فقدته من تجارتها الخارجية إذا رجع بعضه الى خطأ ارتكبته فلا يرجع كله أو جله إلى ذلك الخطأ . ذلك بأنها في أثناء الحرب اضطرت أن تضحي بمعظم أسواقها الخارجية لكي تركز جميع قواتها القومية في الأعمال الحربية . وذلك الفراغ الذي تركته شغلت بعضه أمم أخرى (كاليابان والولايات المتحدة) لم يُنقِص ظهرها عبء الحرب وشغّل البعض الآخر ما قام من الصناعات القومية على أنقاض الواردات البريطانية . فلما وضعت الحرب أوزارها أقيمت لحماية هذه الصناعات حواجز من الضرائب الجركية العالية ، وأخذت الأمم جميعها في داخل أوربا وخارجها تعمل « للاكتفاء بنفسها » ، فأدى ذلك العمل الى النتيجة السالفة الذكر ؛ وكان من جراء ذلك أن بريطانيا التي لا أمل لها في أن تكتفي بنفسها والتي لا تستطيع أن تحيا إلا بالاتجار مع العالم أجمع تجارة واسعة ، انحطت الى المنزلة التي انحطت اليها مدنية (وبانة) بعد الحرب . لقد كانت بريطانيا كما كانت وبانة تعتمد في رخائها على موقعها في